

الرد على شبهة  
أن قتال الدفع لا يشترط له أيّ شرط  
وبيان أن شرط التوحيد لا يتخلى عنه موحّد

للشيخ  
أبي محمد المقدسي



غرفة الفجر الإسلامية

## الرد على شبهة

### أن قتال الدفع لا يشترط له أي شرط

### وبيان أن شرط التوحيد لا يتخلى عنه موحد

للشيخ أبي محمد المقدسي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد فلقد اشتهر قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قتال الدفع : (وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمه والدين فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم). (الفتاوى الكبرى (٦٠٨٤)

ولقد استدلت كثير ممن يدعي العلم من حملة ألقاب الدكتوراه والشيخية وشرعيي الفصائل في سوريا بهذه الفتوى لتسويغ كثير من المواقف بدعوى أن شيخ الإسلام قد ألغى بهذا النص كل شرط من شروط الجهاد .. حتى استدلت به من أجاز مظاهره المشركين من الصليبيين والمرتدين وغيرهم والإستعانة بهم على المسلمين غلاة كانوا أو غيرهم ، واستدل به آخرون على جواز الإنخراط في صفوف فصائل تدعوا للدولة الديمقراطية التعددية المناقضة لدولة التوحيد والإسلام ، واستدل به بعضهم على تميع العرى الوثقى وهدم الولاء والبراء ... فحملوا هذا النص ما لا يحتمل وقولوا شيخ الإسلام ما لم يقله فضلوا وأضلوا.

ولقد كنت ذكرت أكثر من مرة أن (شرط التوحيد) لا يصح عمل ولا يقبل جهاد بدونه سواء كان الجهاد جهاد دفع أو جهاد طلب، ومع ذلك جادل بعض من لا يحسن إلا الجدل في ذلك ، مع أن ذلك أمر يتعلمه الطالب في أبجديات وألف باء التوحيد حين يتعلم شروط قبول العمل الصالح، والتي جعلها العلماء شرطين (الإخلاص وهو التوحيد ، والمتابعة) وبعضهم أضاف الإيمان ، ومن لم يصفه جعله مندرجا في التوحيد.

ومع ذلك استمر المجادلون بالباطل في جدالهم .. فأحببت أن أقطع جدالهم من جذوره وأذب عن شيخنا ابن تيمية هذه الفرية التي حملت مقالته ما لا تحتمل ، وذلك بأن أورد من كلام شيخ الإسلام نفسه ما يرد باطلهم ويقمع فريتهم.

وذلك أنه ذكر رحمه الله تعالى في رده على البكري ما يدل على أنه هو وكل من يوصف بالمعرفة في الدين يأبون القتال في صف فيه من يدعو غير الله ويشرك بالله ، كيف والجهاد ما قام إلا لنصر التوحيد وتحرير العباد من عبادة العبيد ؛ ولذلك فإن شرط خلق الجماعة المقاتلة من الشرك أو خلو غايتها من الشرك سواء بالسعي لجعل غير الله معبودا أو مشرعا أو حكما، ذلك ليس شرطا عاديا ومعتبرا فقط ؛ بل هو أبو الشروط وأصلها وأسها وقاعدتها التي لا يصح أن يتساهل فيها أو يتنازل عنها ؛ إذ ما قام الجهاد أصلا إلا لإبطال الشرك وجهاد أهله ، ووجود الشرك والمشركين في الصف من أعظم أسباب الهزيمة والخذلان..

قال شيخنا رحمه الله في واقعة هي من قتال الدفع:

(إنَّ العدوَّ الخارجَ عن شريعة الإسلام لما قَدِمَ دمشق؛ حَرَجُوا [أي: بعض النَّاسِ] يَسْتَعِيثُونَ بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم.....

فَقُلْتُ لهم: هؤلاء الذين تَسْتَعِيثُونَ بهم لو كانوا معكم في القتال؛ لَأَنْهَزَمُوا كما أَنْهَزَمَ مِنَ المسلمين يومَ أُحُدٍ، فَإِنَّه كان قد قُضِيَ أَنَّ العُسْكَرَ يَنْكَسِرُ لأسبابٍ اقْتَضَتْ ذلك، ولِحِكْمَةِ الله في ذلك.

ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يُقاتلوا في تلك المرة (1)؛ لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة من القتال؛ فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير من المقاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالاً شرعياً: أجزوا على نياتهم.

فلما كان بعد ذلك: جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله، والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مقرب، ولا نبي مرسل؛ كما قال تعالى- يوم بدر: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم}، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم بدر يقول: «يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث». وفي لفظ: «أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك». فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم: نصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً، لما صح من تحقيق توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك؛ فإن الله ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد).

اهـ | باختصار من كتابه: "الاستغاثة والرد على البكري" (ص ٧٣٢-٧٣٣)

وها هنا فوائد نجمها بالتالي:

١- في هذه الفتوى توضيح لما أجمل في قول شيخ الإسلام في الفتوى التي فرح بها المجادلون عن الباطل، وتقييد لما أطلق في قوله عن جهاد الدفع: (لا يشترط له شرط) فهذا الإطلاق لا يشمل شرط التوحيد ولا ينفيه، وهذا أمر بدهي، كما هو في حديث الرجل الذي غفر الله له وهو (لم يعمل خيراً قط) فقد ذكر العلماء أن هذا الإطلاق لا ينفي التوحيد؛ وجاء ذلك مصرحاً به في رواية للحديث، ومعلوم أن رد المجمل إلى مفسره وربط المطلق بمقيدته هي طريقة الراسخين في العلم، والتفريق بين ذلك وقطعه هو من طريقة أهل الزيغ الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وطريقة المفسدين الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل.

٢- أن هذا الذي أوردناه من كلام شيخنا ابن تيمية في بيان أن شرط التوحيد والحفاظ على جنابه معتبر عنده غير مغفل ولا مهمل، هو في جهاد الدفع فليس لمدع أن يدعي أنه في غير ذلك، إذ الكلام عن هجوم التتار على دمشق في زمنه رحمه الله.

٣- أن شيخ الإسلام يرى أن ترك القتال حين يتخلل الجماعة المجاهدة شرك أو دعاء لغير الله هو من طريقة (أهل المعرفة بالدين) وليس من طريقة أهل الغلو والتشدد كما يفتريه المجادلون بالباطل من اللامناهجة وغيرهم.. وأن وجود الشرك وما يناقض التوحيد سبب في (الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة من القتال؛ ولا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة...).

وأن القتال مع وجود الشرك الظاهر في الصف أو في الفصيل أو في غايته وهدفه هو ليس من (القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله)

ولا يحجر كلامه رحمه الله في شرك دعاء غير الله إلا متحجر العقل؛ فالشرك شرك سواء من هذا الباب؛ أو في باب ابتغاء غير الله حكماً ومشرعاً؛ فيدخل في ذلك قطعاً شرك من يسعى لدولة تعددية أو ديمقراطية تحكم بغير ما أنزل الله وتحتكم للجماهير في اختيار نوع الحكم.. فحذار أن تنظلي عليك أيها المجاهد زخرفات المزخرفين وتلبساتهم التي تقتطع من كلام شيخ الإسلام ما تمرر به باطلهم، وتسوغ به إفكهم، فقد امتدح الله

الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فكن منهم ؛ ولا تفرق كلام الشيخ وتقتطع منه ما يوافق الهوى والمآرب الشيطانية ، فلن ينفك هذا بين يدي الله ، وأنت تجاهد وتضحى بأعلى ما عندك وهي نفسك التي بين جنبيك فأعرف أين تضعها وكيف تضحى بها، وليكن ذلك في رضوان الله وفي سبيل تحكيم شرعه ومن أجل نصره

توحيد، ولا تلتفت إلى من يدعي أننا نصعب الجهاد ونعسر شروطه ، فالساحة فيها والله الحمد فصائل تعلن أن غايتها تحكيم الشريعة وتبرأ صراحة من سبل المميعين وطرائق الديمقراطيين والمفاوضين وأصحاب الصفقات السياسية التأميرية..

فأعرض عن هؤلاء واستجب لمولاك الذي قال في سياق ذكر الجهاد والمجاهدين) : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

٤- ثم تأمل إلى قول شيخ الإسلام بعد ذلك) : **فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ: جَعَلْنَا نَأْمُرَ النَّاسَ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ لِلَّهِ، إِلَى قَوْلِهِ...: فَلَمَّا أَصْلَحَ النَّاسُ أُمُورَهُمْ وَصَدَّقُوا فِي الْإِسْتِغَاثَةِ بِرَبِّهِمْ؛ نَصَرَ اللَّهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ نَصْرًا عَزِيزًا ، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً ، لما صح من تحقيق توحيد الله) (... اهـ**

فليكن ديدنك في الجهاد وفي ساحاته ؛ الدعوة إلى إخلاص الدين كله لله وهو التوحيد الذي هو أعظم المصالح على الإطلاق إذ ما قام سوق الجهاد إلا من أجل إظهاره وتحقيقه ، واعمل على تنقية الصفوف من الشرك الصراح الذي هو أشر وأخبث المفاسد على الإطلاق وقد شرع الجهاد من أجل إبطاله .. واستعن لأجل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأخلص النصيح في ذلك لخواص المجاهدين وعوامهم.. فبذلك ينتزل النصر، وينال تأييد الرحمن وتتجنب مزالق الشيطان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

